رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية

(٣٨)

الشاعر والمفكر الإسلامي

محمد إقبال

وصلته الثقافية بالعالم العربي..
تأثره وتأثيره

الدكتور فهمي النجار

العبيكان
Obeikan

ح مكتبة العبيكان، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النجار، فهمي
الشاعر والمفكر الإسلامي محمد إقبال./ فهمي النجار. -
الرياض، ١٤٣١هـ
٣٢٠ص؛ ١٤ × ١٢سم
ردمك: ٤-٠٩٨-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- محمد إقبال بن نور محمد، ت ١٣٥٧هـ أ- العنوان
ديوي ٨١١,٩٥٣١٠٠٩ ١٤٣١/ ٩٨١٣

رقم الإيداع: ١٤٣١/ ٩٨١٣
ردمك: ٤-٠٩٨-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- **المقدمة**	١١
- **التمهيد: الصلات الاجتماعية والثقافية بين الهند والبلاد العربية قبل الإسلام وبعده**	٢١
١ - أهل الهند والسند في الجزيرة العربية قبل الإسلام	٢٣
- قيام الدولة الإسلامية في الهند	٢٥
٢- تواصل اجتماعي وثقافي بين الهند والبلاد العربية في العهد الإسلامي الأول:	٢٧
أ- أهل الهند والسند في البلاد العربية بعد الإسلام	٢٧
ب - تأثر أهل الهند والسند بالحضارة الإسلامية	٣٠
الفصل الأول	
محمد إقبال.. شاعر الرسالة الإسلامية	٣٥
أولاً: حياته وتربيته وأخلاقه وصفاته	٣٧
١- حياته	٣٧
٢- أخلاقه	٤٢
٣- إيمان إقبال	٤٦
٤- شجاعة إقبال	٥٠
٥- إنسانية إقبال	٥١
٦- سخرية إقبال	٥٣

الموضوع	الصفحة
ثانياً: إنتاج إقبال الفكري والشعري	٥٥
أ – مؤلفات إقبال الشعرية:	٥٦
١- ديوان أسرار خودي (أسرار إثبات الذات)	٥٦
٢- ديوان رموز بي خودي (رموز نفي الذات)	٥٩
٣- ديوان بيام مشرق أو (رسالة المشرق)	٦٣
٤- ديوان بانك درا (صلصلة الجرس أو جرس القافلة)	٦٦
٥- زبور عجم	٦٧
٦- جاويد نامة (الكتاب الخالد)	٦٩
٧- مسافر	٧٣
٨- بال جبريل (جناح جبريل)	٧٤
٩- بس جه بايد كرد إي أقوام شـرق؟ (ماذا ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق؟)	٧٧
١٠- ضرب كليم (أو ضرب موسى)	٧٨
١١- أرمغان حجاز (هدية الحجاز)	٨٢
ب – مؤلفات إقبال النثرية:	٨٤
١- تجديد التفكير الديني في الإسلام	٨٤
٢- علم الاقتصاد	٨٩
٣- تاريخ الهند	٩٠
٤- تاريخ بريطانيا القديمة (ترجمة وتلخيص)	٩٠

الموضوع	الصفحة
٥- الاقتصاد السياسي (ترجمة وتلخيص)	٩٠
٦- أردو كورس (منهج تعليم الأردو)	٩٠
٧- أتينة عجم (مرآة العجم)	٩٠
٨- تطور الميتافيزيقا في فارس	٩١
٩- خواطر شاردة	٩١
١٠- مقالات وخطب إقبال (بالإنكليزية والأردية)	٩١
١١- رسائل إقبال	٩٣
الفصل الثاني	
تكوين إقبال الفكري والثقافي	٩٧
أولاً: المصادر الإسلامية	١٠١
١- القرآن الكريم	١٠١
٢- السنة النبوية	١١١
٣- سيرة الصحابة والتابعين	١١٣
٤- الفلسفة الإسلامية والفكر الصوفي	١١٧
٥- الأدب الإسلامي عامة والعربي خاصة	١٢٤
ثانياً: المصادر الغربية	١٣٠
١- الفلسفة اليونانية	١٣٠
٢- جوته	١٣١
٣- ليبنتز	١٣٣

الموضوع	الصفحة
٤- نيتشه	١٣٦
٥- برغسون	١٣٩
الفصل الثالث	
محمد إقبال والعالم العربي	١٤١
١- بواعث اهتمام إقبال بالعالم العربي	١٤٣
٢- إقبال والواقع العربي	١٤٨
٣- إقبال واليهود وفلسطين	١٥٤
٤- إقبال والاستعمار الغربي	١٦٠
الفصل الرابع	
محمد إقبال في العالم العربي	١٦٥
١- نشر فكر إقبال وشعره في العالم العربي	١٦٧
٢- تأثر العالم العربي بفكر إقبال وشعره	١٧٢
الفصل الخامس	
محمد إقبال من رواد الصحوة الإسلامية	١٨١
المبحث الأول: ثورة الإسلام في الهند وتأثيرها على العالم العربي	١٨٣
نظرة تاريخية	١٨٣
١- الشيخ المجدد أحمد السرهندي	١٨٥
٢- الإمام ولي الله الدهلوي	١٨٥
٣- أحمد بن عرفان الشهير بـ(شاه إسماعيل الدهلوي)	١٨٦
٤- ندوة العلماء	١٨٧

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: محمد إقبال والصحوة الإسلامية	١٨٩
- محمد إقبال من رواد الصحوة الإسلامية	١٨٩
١- نظرة محمد إقبال إلى الواقع الإسلامي	١٩٠
٢- دعوة إقبال إلى اليقظة الإسلامية	١٩٦
٣- إقبال والمدنية الغربية والفلسفات الإلحادية	٢٠٠
٤- إقبال والشباب الإسلامي	٢٠٤
الفصل السادس	
مرتكزات الصحوة الإسلامية عند إقبال	٢٠٩
أولاً: الدعوة إلى تجديد التفكير الديني في الإسلام	٢١١
أ- مفهوم التجديد لدى إقبال	٢١١
ب- دوافع إقبال وأهدافه إلى تجديد التفكير الديني في الإسلام	٢١٣
ج- صياغة جديدة للعقيدة الإسلامية	٢١٦
د- مصادر المعرفة لدى إقبال	٢١٨
ثانياً: بناء فلسفة جديدة للذات المسلمة	٢٣٨
١- مفهوم الذات عند إقبال	٢٣٩
٢- فلسفة إثبات الذات	٢٤١
٣- مراحل ارتقاء الذات	٢٤٥
٤- العوامل المضعفة للذات	٢٥٠
٥- تربية الذات	٢٥٧
٦- المجتمع الذي تحتاجه الذات في ترقيتها يقوم على:	٢٦٢

الموضوع	الصفحة
أ – التوحيد	٢٦٢
ب– الرسالة والقيادة الملهمة	٢٦٥
ج – الدستور القرآني	٢٦٧
د– المركز المحسوس	٢٦٨
هـ – الهدف الواضح	٢٦٩
و – تسخير قوى العالم	٢٧٠
ز – شعور المجتمع بذاته	٢٧٣
ح – حفظ الأمومة واحترامها	٢٧٥
ثالثاً: الإسلام دين ودولة	٢٧٩
رابعاً: الدعوة إلى الجهاد لتحرير البلاد الإسلامية	٢٨١
خامساً: الدعوة إلى الوحدة الإسلامية	٢٨٥
سادساً: محاربة الدعوات الهدامة مثل القاديانية	٢٨٧
الفصل السابع	
تقويم فكر إقبال وآرائه	٢٩١
١– رأي بعض معاصريه وغيرهم في فكره وشخصيته	٢٩٣
٢– رأي بعض المفكرين الغربيين في فكره	٢٩٨
خاتمة البحث	٣٠٥
المراجع والمصادر	٣١١

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن العلامة والمفكر الإسلامي العظيم محمد إقبال، علم من أعلام الفكر والفلسفة الإسلامية، وكذلك هو علم من أعلام الشعر الإسلامي الملتزم.

صاغ شعره باللغة الأردية والفارسية، وكان يتمنى أن ينظم باللغة العربية – لغة القرآن – حتى تصل أفكاره إلى العرب، والشباب العربي بشكل خاص.

ولكنه لم ينظم الشعر بالعربية.. وقام بعض المخلصين بترجمة شعره وتعريبه.. ووصل فكره وأدبه إلى شباب العرب وأثر فيهم، وأشعلت قلوبهم ونفوسهم بالحمية بتأثير شعره، واستيقظت عقولهم وفكرهم.. وأصبحوا ينادون بالعودة إلى الإسلام من جديد.. لأنهم بالإسلام يصلون إلى العزة والكرامة.. ويتخلصون من الاستعمار الذي ناء بكلكله على البلاد العربية، بعد أن مزقها دولاً وأمصاراً.

كان إقبال منارة علم وأدب في سماء الصحوة الإسلامية التي نرى آثارها اليوم في جميع بلاد العالم الإسلامي.

إننا نرى اليوم دعوات في شتى أنحاء العالم الإسلامي تنادي بالعودة إلى الإسلام، وتنادي بأن الإسلام نظام يصلح لكل زمان ومكان.. وتنادي

بالتحرر من الهيمنة الغربية خاصة، ومحاربة صور المدنية الغربية السيئة، وتدعو إلى التربية الإسلامية الصحيحة لتخريج شباب يحملون راية الإسلام من جديد.

ولم يدر بخلدي حينما اطلعت على شعر إقبال المترجم للعربية أول مرة نحو عام ١٩٥٥م – أن أقوم بدراسة علمية منهجية عن إقبال بعد مرور أكثر من ٢٣ عاماً على ذلك التاريخ. يومها كنت في الخامسة عشرة من عمري، أردّد مع بعض الشباب قصيدة إقبال من ترجمة الشيخ الصاوي شعلان:

الهند لنا والصين لنا والعرب لنا والكل لنا

أضحى الإسلام لنا دينا وجميع الكون لنا وطنا

وكذلك قصيدته الرائعة " شكوى " التي ترجمها الصاوي شعلان، والتي يفخر فيها بالفاتحين المسلمين الأوائل:

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسـ ـمك فوق هامات النجوم منارا

كنا جبالاً في الجبال وربما سرنا على موج البحار بحارا

بمعابد الإفرنج كان آذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا

لم تنس إفريقية ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا

وكأن ظل السيف ظل حديقة خضراء تنبت حولها الأزهارا

فقد كانت هذه الأبيات تثير حماستنا، وتشعل جذوة الإيمان في صدورنا، وتدفعنا إلى الجهاد، وتقليد أبطال الإسلام.

ومـرت الأيـام، ونحن نزداد معرفـة بإقبال عن طريـق ترجمة الدكتور عبدالوهـاب عـزام الذي ألف كتاباً عـن إقبال، وحياته وفلسـفته، وكذلك ترجم ديواني " أسـرار خودي " و" رموزبي خودي " في ديوان واحد سـماه «الأسرار والرموز».

وكنـا - خلال السـنوات التـي تلت ذلك - نتلهف لكل ما يصـدر لإقبال مترجمـاً إلى العربية، وقد صـدر في السـتينات كتاب الشـيخ أبي الحسـن الندوي رحمه الله "روائع إقبال" باللغة العربية، الذي يضم لمحة عن حياة إقبال ومجموعة من قصـائده المعـبرة عن آرائه في الحياة، والتربية والحضـارة الغربية، والجهاد، وواقع العالم العربي والإسلامي.

وهكـذا فإن إقبـال كان ملء قلوبنا وعقولنا، إذ كان شـعره الحماسـي يلاقي صـدىً في نفوس الشـباب المتحمس لتحكيم الإسـلام، وإلى الجهاد في سـبيل الله فضلاً عن أن هذا الشـعر ينبئ عن إخلاص قائله وشجاعته وصدقه، لذلك كان يؤثر في القلوب.

وهكذا فإن شعر إقبال أشعل الجذوة المتقدة في نفوس الشباب وقلوبهم، بعد اليقظة التي أسهم فيها كثير من العلماء العاملين لإعادة مجد الإسلام من جديد، وطرد الكسل والخمول والوهن من النفوس.

ولهذا كله أحب الشباب الإسلامي في البلاد العربية إقبالاً، وروح إقبال، وشجاعة إقبال.

وأعـترف أنني لم أتذوق شـعر إقبـال كتذوقي للشـعر العربي، ذلك أن الترجمة الشعرية مهما كانت مطابقة للأصل في المضمون، والمعاني الفكرية إلا أنها لا تستطيع أن تأتي بجمال الشعر في لغته الأصلية.

ومع ذلك فإن شعر إقبال المترجم نثراً من قبل الشيخ أبي الحسن الندوي، والمترجم شعراً من قبل الصاوي شعلان وعبد الوهاب عزام، قد أخذ بلبي، وسحر وجداني، وملأ قلبي عاطفة، وعقلي فكراً، وأشعل الحماسة في نفسي، وفي نفوس كثير من الشباب في الستينات من هذا القرن.

وقد أدى تقصير الأدباء والمفكرين في البلاد الإسلامية عامة، إلى إقصاء إقبال عن الساحة الأدبية والفكرية في العالم العربي خاصة، والإسلامي عامة.

لذلك فإن كثيراً من الشباب الآن يجهل إقبالاً، وما قام به في النصف الأول من هذا القرن، من بعث لمبادئ الإسلام، والمناداة بتحكيم الإسلام في شؤون الحياة، ومن جهاد باللسان والقلم ضد القيم الدخيلة على الإسلام، ومن مصارعة للحضارة الغربية التي تجتاح العالم الإسلامي.

ومن هنا نبعت فكرة هذه الدراسة العلمية عن شاعرنا العظيم محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي – وتأثره بالثقافة الإسلامية وتأثيره في الفكر الإسلامي، والأدب الإسلامي.

أرجو أن تضاف هذه الدراسة إلى الآلاف الذين كتبوا عن إقبال في الشرق والغرب من كتب ورسائل ومقالات ومحاضرات وندوات.[١]، وأن تكون جديدة في فكرتها، ومنهجها، وأسلوبها..

---

(١) جاء في مقال قرئ في مهرجان إقبال المئوي المنعقد في مدينة لاهور تحت إشراف حكومة باكستان في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٧م أن عدد ما صدر عن إقبال من الكتب والرسائل في لغات العالم المختلفة قد بلغ ألفين (٢٠٠٠) ما بين كتاب ورسالة، هذا عدا ما نشر من البحوث والمقالات، وما ألقي من أحاديث ومحاضرات في مجلات وحفلات مختلفة، وبذلك فاق إقبال شكسبير الإنكليزي، ودانتي الإيطالي، وطاغور الهندي. فلم يكتب عن أحد منهم ما كتب عنه. (انظر روائع إقبال للندوي – ص ٢، ٣).

وإن نظرة على فصول هذا البحث تعطي القارئ تصوراً واضحاً عن الفكرة التي يدور حولها، وهو مقدار تأثر محمد إقبال بالثقافة الإسلامية، ومقدار تأثيره في فكر المجتمع الإسلامي.

ففي التمهيد للبحث ألقيت نظرة على الصلة الثقافية والاجتماعية بين الهند والبلاد العربية قبل الإسلام وبعده، واختلاطهم بالقبائل العربية، ومشاركتهم في الغزوات بين القبائل.. وخاصة في اليمن جنوب الجزيرة العربية، وعلى سواحل الخليج العربي القريبة من القارة الهندية.

وكذلك وجودهم في الجزيرة العربية بعد الإسلام، وتأثرهم بالحضارة الإسلامية.. فكان منهم الشعراء والعلماء والمحدثون والأدباء.

أولاً – أما الفصل الأول فقد بحثت فيه شخصية محمد إقبال؛ حياته وتربيته وتعليمه وأخلاقه، وإنتاجه الفكري، شعراً ونثراً، وما ترجم من هذا الإنتاج إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات، ومقتطفات من دواوينه التي نظمها باللغتين الأردية والفارسية، وتلخيص أفكار إقبال في كتابه " تجديد التفكير الديني في الإسلام " والإشارة إلى الكتب الأخرى في مجال التاريخ والاقتصاد وكذلك الإشارة إلى رسائله.

وقد اعتمدت على المصادر العربية فحسب لأني رأيتها تفي بالغرض الذي أسعى إليه، وخاصة أن هذه المؤلفات لكبار الكتاب الذين عاصروا العلامة إقبال وعايشوه، وممن وُصفوا بالصدق والإخلاص بالعمل والقول، ومن هؤلاء:

– أبو الحسن الندوي: رئيس ندوة العلماء في الهند، وقد التقى به قبل وفاته، وهو ممن فهموا فلسفته وفكره، وتذوقوا شعره، وكتبوا عن حياته، وترجموا بعض أشعاره نثراً، مما أضفى على شعر العلامة

إقبال جمالاً وروعة.. وذلك كله في كتابه الرائع (روائع إقبال) الذي تكررت طبعاته في دمشق ولاهور، وقرأه الآلاف من العرب والمسلمين.

- والدكتور عبد الوهاب عزام: الذي كان سفيراً لمصر في باكستان، ويرجع إليه الفضل في التعريف بإقبال وحياته وشعره وتقديمه للشباب العربي. وقد ترجم عدة دواوين لإقبال أهمها (الأسرار والرموز) وألّف أيضاً كتاباً عن حياة إقبال وفلسفته كما هو مبين في المراجع.

- والأديب الكاتب السوري إحسان حقي: الذي رافق إقبالاً فترة من الزمن، وكتب عن حياته بشكل دقيق، ولم ينس أن يكتب حتى عن عاداته الشخصية، وطعامه المتواضع... وقد كان إقبال يحبه كثيراً ويقربه إليه، وبقي معه حتى أخرجه الاستعمار الإنكليزي من باكستان (الهند يومها). وكتابات إحسان حقي موجودة في كتاب الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي الذي ألفه الكاتبان: محمد حسن الأعظمي، والشاعر المصري الصاوي شعلان الذي يعد من أفضل من عرَّب شعر إقبال.

ثانياً: بينت في الفصل الثاني مقدار تأثر إقبال بالثقافة الإسلامية من خلال تكوينه الفكري والثقافي.. وبينت مصادر ثقافته الأصلية من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتاريخ الصحابة، والفلسفة الإسلامية، والفكر الصوفي عند الغزالي والرومي وغيرهم، وكذلك تأثره بالأدب العربي.

ومناقشة من يدعي أن ثقافة إقبال غربية، وردّ إقبال عليهم، على الرغم مما يظهره إقبال من الإعجاب بفكر (نيتشه الألماني) في الإنسان الكامل، وفلسفة (برغسون الفرنسي) في الزمان.. ومعارضتهما في كثير من أفكارهما.

ثالثاً: ودللت في الفصل الثالث على مقدار تأثر إقبال بالعالم العربي وما يقع فيها من مصائب ورزايا، وحرقته على ما آل إليه المسلمون من هوان وذلة وفي هذا الفصل وضحت ما يلي:

- إقبال والعالم العربي.
- إقبال واليهود وفلسطين.
- إقبال والاستعمار الغربي.

رابعاً: وفي الفصل الرابع وضحت النقاط الآتية:

- نشر فكر إقبال في العالم العربي.
- زيارة إقبال للعالم العربي.
- تأثر العالم العربي بفكر إقبال.

أما الدراسة التحليلية التي تهمنا في هذا البحث: فقد بينت فيها تأثر إقبال بالأصول الأساسية للفكر الإسلامي، وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية.. وتأثر إقبال بالأدب العربي في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي. ومتابعتي لشعر إقبال المترجم إلى العربية في دواوينه العديدة وخاصة اقتباسه من الشعر الجاهلي، وتضمين أبيات كاملة من معلقة عمرو بن كلثوم في شعره، وكذلك اقتباس بعض الصور الشعرية من الشاعر الجاهلي امرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى؛ مما يدل على أن إقبالاً اطلع على الشعر الجاهلي كاملاً.

خامساً: وفي الفصل الخامس الذي عنوانه: محمد إقبال من رواد الصحوة الإسلامية.. مهدت للبحث بخبر أولئك العلماء الأفذاذ الذين قادوا النهضة الإسلامية في القارة الهندية، والعلامة إقبال آخر هذه السلسلة الطيبة.

ثم بينت دور إقبال في الصحوة الإسلامية ودعوته إلى اليقظة، والثورة، ونقده للمدنية الغربية والفلسفات الإلحادية. وفي هذا الفصل يظهر تأثر إقبال العميق بالنهضة الإسلامية في الوطن العربي.

سادساً: أما الفصل السادس: (مرتكزات الصحوة الإسلامية)

فهو من أهم الفصول عندي، ويتعلق بموضوع البحث، إذ يظهر أثر إقبال الواقعي والعملي في النهضة الفكرية الإسلامية، وتبني الحركات الإسلامية كثيراً من أفكار إقبال، لذلك دعا إقبال إلى بناء فلسفة جديدة للذات المسلمة في الفكر الإسلامي تهدف إلى بعث الحركة في النفس.. لتعيد الثقة بالذات عند الفرد المسلم.. بعد أن كان مسحوقاً أمام طغيان القوة المادية الاستعمارية، وتدفع هذا الفرد إلى النهوض والثورة ضد الاستعمار.

ومن هذه المبادئ التي ذكرها في كثير من دواوينه.. وأصبحت من الأفكار والمبادئ التي هي من أسس كثير من الحركات الإسلامية:

١- الإسلام دين ودولة.

٢- محاربة العلمانية التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة.

٣- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

٤- محاربة الدعوات الهدامة.

٥- الدعوة إلى الجهاد لتحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار القديم والجديد.

هذه هي أهم المبادئ التي نادى بها إقبال، وتحولت إلى واقع، ولم تبق مجرد خيال أو أحلام.

التمهيد

الصلات الاجتماعية والثقافية
بين الهند والبلاد العربية قبل الإسلام وبعده

التمهيد: الصلات الاجتماعية والثقافية بين الهند والبلاد العربية قبل الإسلام وبعده.

١- أهل الهند والسند في الجزيرة العربية قبل الإسلام:

كانت التجارة، والبحث عن الرزق، من أهم عوامل اللقاء بين الهند والعرب في الجاهلية (عصر ما قبل الإسلام)، وكانت تجارة الهند تنقل إلى سواحل عُمان واليمن والبحرين[١]، وكانت السيوف تجلب إليها منها فنسبوها إليها وقالوا: السيوف الهندية، بل غلب عليها اسم الهندية والمهندة، وكعب بن زهير عندما مدح الرسول ﷺ في قصيدته المشهورة (بانت سعاد) شبهه بالسيف الهندي:

إن الرسولَ لنور يُستضاءُ به ... مُهَنَّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

والدليل على صلة كثير من أهل الهند والسند بالقبائل العربية مثل قبيلة بكر بن وائل، وعبد القيس بن ربيعة، ولكيز بن عبد القيس تردّد أسماء كثيرة من أهل الهند في أشعار العرب، ووصفهم بالقوة والشكيمة، ومن هذه الأبيات الشعرية قول شاعر قبيلة لكيز، الأخنس بن شهاب التغلبي:

لكيز لها البحران والسيف دونها ... وإن يأتها بأس من الهند كاربُ[٢]

وقال آخر:

بني أَمَةٍ محبوبةٍ هندكية ... بني جمع عبد قيس بن وائل

---

(١) البحرين: لا يقصد بها جزيرة البحرين الحالية، بل تطلق التسمية على مناطق الأحساء في المملكة العربية السعودية حالياً.

(٢) الحماسة لأبي تمام ١/٣٧٦.

ويؤكد منعة أهل الهند وقوتهم إذا سندوا قبيلة ما قول عبد الله بن عوهم:

ويُغني الزطَّ عبدُ القيسِ عنا وتكفينا الأساورةَ المزونا[١]

هذه الأبيات الشعرية تؤكد وجود الهند في جزيرة العرب قبل الإسلام، وتؤكد الصلة القوية بينهم وبين القبائل العربية، ومشاركتهم في الغزو والقتال بين القبائل قبل الإسلام.

والدليل الآخر على وجود كثير من أهل الهند والسند من الزط والسيابجة، والأساورة، والأخامرة، والأصاصرة، والميد، في الجزيرة العربية، معرفة العرب لهم بأشكالهم وعاداتهم وتقاليدهم وزيهم وألوانهم وشهورهم.

وما رُوي في هذا المجال؛ قول النبي ﷺ حينما وفد عليه بنو الحارث: «مَنْ هؤلاء الذين كأنهم من الهند؟"[٢]

وفي البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: (واذكر في الكتاب مريم...) عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسم، سبط، كأنه من رجال الزط.

وقد جاء في الأحاديث والأخبار أسماء كثير من أهل الهند وأحوالهم في المدن العربية، وتفاعلهم مع المجتمع العربي وتأثرهم وتأثيرهم في هذا المحيط، اجتماعياً، وثقافياً، وعسكرياً.

---

(١) الزط: من أهل الهند، العقد الثمين في فتح الهند – للقاضي أبي المعالي أطهر المباركبوري، ص ٢٢.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ / ١٦٥.

فقد روى الذهبي في تجريد أسماء الصحابة: أن كسرى ملك الفرس ولّى «باذان» الهندي على اليمن، وبقي حتى البعثة النبوية، فبعث بإسلامه وإسلام من معه بعد مقتل كسرى.[١]

ويروي ابن حجر في الإصابة[٢]، فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يجتمع به، سواء أسلم في حياته أو بعده: «بيرزطن» الهندي اليمني، وله خبر مشهور في حشيشة القنب، وأنه أول من أظهرها بتلك البلاد، واشتهر أمرها في اليمن، ثم أدرك هذا الشيخ الإسلام فأسلم.

وروى البخاري في الأدب المفرد: أن هناك طبيباً من الزط من أهل المدينة أدرك عصر النبي ﷺ في حياته أو بعدها.[٣]

قيام الدولة الإسلامية في الهند:

لما اتسع الفتح الإسلامي في الشرق اتجه تلقاء السند، فغزا المسلمون «مكران»[٤] في عهد الخلفاء الراشدين، ثم فتحوها أيام الأمويين، وكانت تسمى ثغر الهند.

ثم فتحت السند في عهد الوليد بن عبد الملك[٥] على يد محمد بن القاسم الثقفي[٦] ففتح مدينة الدبل[٧] على ساحل المحيط الهندي،

---

(١) تجريد أسماء الصحابة للذهبي – ج ١ ص ٤٥.

(٢) الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر العسقلاني – ج ١ – ص ١٧٩.

(٣) الأدب المفرد – للبخاري – باب بيع الخادم.

(٤) مكران – مدينة في بلاد السند – (الكامل في التاريخ لابن الأثير– ج ٣ – ص ٤٣).

(٥) الوليد بن عبد الملك – خليفة أموي – تولى الخلافة سنة ٨٦هـ، وتوفي سنة ٩٦هـ.

(٦) محمد بن القاسم الثقفي: (٧٢ – ٩٦هـ) ولاه الحجاج قيادة الجيش الإسلامي المتوجه إلى السند وهو ابن سبع عشرة سنة.

(٧) مكان كراتشي اليوم.

ثم اجتاز نهر السند ففتح "الملتان"، وتوالت الفتوح من هذا الإقليم، وبنيت مدينة المنصورة، واستقر السلطان الإسلامي في السند على مر العصور، ولم يتوغل المسلمون في الهند ويمدوا سلطانهم في أرجائها إلا منذ القرن الرابع الهجري.

كان أول فاتح للهند من ملوك المسلمين السلطان "محمود بن سبكتكين" مؤسس الدولة الغزنوية، تولى الملك من سنة ٣٨٧ – ٤٢١ هـ، وبعد أن وطد سلطانه في أفغانستان وشرق إيران عزم على فتح الهند، فقاد الجيوش إليها خمس عشرة مرة بين سنتي ٣٩١ – ٤١٧ هـ، ففتح كشمير وبنجاب وجهات أخرى، ثم اتخذت الدولة الغزنوية مدينة لاهور حاضرة ملكها.

وكذلك عنيت بفتح الهند الدولة الغورية التي خلفت الدولة الغزنوية في أفغانستان، واستمر ملكها من سنة ٥٤٣ – ٦١٢ هـ، فاستولت على الأقاليم التي فتحها العرب المسلمون من قبل: السند والملتان، ومدت سلطانها على الهند الشمالية كلها.

ثم نشأت في الهند دول إسلامية أخرى[١] إلى أن استولى على شمال الهند "بابرشاه" من سلالة «تيمورلنك»[٢] في القرن العاشر الهجري، فأقام الدولة المغولية التي بسطت سلطانها على الهند كلها، واستمر لها السلطان في تلك البلاد على اختلاف في الأحوال حتى سنة ١٢٧٥ هـ(١٨٣٧ م حينما خلع الإنكليز آخر ملوك هذه الدولة بهادرشاه الثاني(١٢٥٣ – ١٢٧٥ هـ)[٣].

---

(١) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم – د. الساعاتي – ج ١ – ص ٥٣ و ١٢١.

(٢) المرجع السابق – ج ٢ – ص ١ – ٧١.

(٣) المرجع السابق – ج ٢ – ص ٢٧٨.

٢- تواصل اجتماعي وثقافي بين الهند والبلاد العربية في العهد الإسلامي:

أ- أهل الهند والسند في البلاد العربية بعد الإسلام:

دخل الإسلام بلاد الهند قبل بدء الفتوحات الإسلامية في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقد جاء المسلمون إليها مجاهدين، ففتحوا بعضها بالصلح والمعاهدة، وبعضها عنوة، ورجعوا بالغنائم والسبايا الذين ضموهم إلى أهليهم وجعلوهم موالي، ومن هؤلاء "الحنفية السندية" التي كانت عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فولدت له ابنه محمداً المشهور "بابن الحنفية"، وسلافة أو غزالة السندية كانت أمة للحسين بن علي رضي الله عنهما، فولدت له علي بن الحسين بن علي، الإمام زين العابدين.

ومن سلالة موالي الهند الذين أقاموا في عهد الخلافة الراشدة في بلاد العرب مع الصحابة والتابعين وعامة المسلمين:

- الإمام الحافظ أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني صاحب المغازي، مولى امرأة من بني مخزوم.

- وعبد الرحمن السندي؛ تابعي سمع عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال البخاري في التاريخ الكبير: «عبد الرحمن السندي سمع أنساً رضي الله عنه: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل ولا يتوضأ من اللحم» توفي رحمه الله سنة ١٧٠ هـ.

- والإمام الفقيه مكحول بن عبد الله الشامي مولى امرأة من بني قيس سندي من سبي كابل، على قول، وهو تابعي روى عن الصحابة أنس وأبي

أمامة وغيرهما، قال الذهبي في التذكرة: مكحول عالم أهل الشام.. قال ابن إسحاق: سمعت مكحولاً يقول: طُفت الأرض في طلب العلم. وقال الزهري: العلماء ثلاثة، وَعدَّ منهم مكحولاً، وقال أبو حاتم: ما أعلم بالشام أفقه من مكحول. توفي سنة ١١٣ هـ، رحمه الله[١].

- والإمام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي السندي، ولد سنة ٨٨ هـ، صاحب المذهب الفقهي الذي تبعه أهل الشام وأهل الأندلس مدة من الدهر، وله مدونات في علم الحديث، وآثار التابعين، ومن سمع منهم، واستخرج الأحكام الشرعية على مذهب انفرد به[٢]. قال الذهبي: الأوزاعي أصله من السند. وتوفي – رحمه الله – عام ١٥٧ هـ.

- وكذلك أحمد بن محمد، أبو العباس الديبلي – المصري، الفقيه الحافظ الزاهد، توفي سنة ٣٧٣ هـ.

- والحسن بن محمد، أبو الفضائل اللاهوري، البغدادي، الفقيه، المحدث، اللغوي، توفي عام ٦٥٠ هـ، عاش في بغداد ودفن في مكة، وله مؤلفات كثيرة في اللغة والفقه والحديث منها: مجمع البحرين(١٢ سفراً) والشوارد في اللغة، وشرح البخاري.

وغير هؤلاء كثير من العلماء والفقهاء، لا مجال لذكرهم في هذا البحث[٣].

---

(١) ارجع إلى العقد الثمين – ص٢١٧..

(٢) وكتابه هذا يوجد منه نسخة خطية في مكتبة جامعة القرويين بالمغرب.

(٣) ارجع إلى كتاب: « العقد الثمين "، وكتاب " رجال الهند والسند إلى القرن السابع "، فيهما تفصيل عن رجال أهل الهند والسند الذين ولدوا وعاشوا في البلاد العربية وخارجها من العلماء والمحدثين، والرواة والفقهاء والمشايخ، والأدباء والشعراء، والمتكلمين والفلاسفة، وأرباب الصنائع وغيرهم الذين يعدون بالمئات. وما ذكرته على سبيل المثال لا الحصر.

وفي مجال الأدب والشعر، نجد من أهل الهند من هاجر إلى البلاد العربية، وكان لهم تأثير كبير:

منهم: الشاعر الحماسي أبو العطاء أفلح بن يسار السندي، من أهل الكوفة[١] كان مولى بني أسد، وكان أبوه سندياً أعجمياً لا يفصح. أما هو فكان شاعراً بليغاً من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد نشأ أبو العطاء بين العرب، ونبغ في الشعر، لكنه لازمته لُكْنة، فكان لا يحسن التلفظ بالحاء والجيم والشين، فاتخذ غلاماً فصيحاً ينشد شعره الذي ذكره أبو تمام الطائي في كتابه الحماسة:[٢]

ذكرتُكِ والخطّيُّ يخطرُ بيننا ... وقد نهلتْ منا المثقفةُ السُّمْرُ[٣]

فواللّهِ ما أدري وإنّي لصادقٌ ... أَداءٌ عراني من حَبابكِ أَمْ سِحْرُ

فإن كان سحراً فاعذريني على الهوى ... وإن يكُ داءً غيرَهُ فلكِ العذرُ

وقال يمدح سليمان بن سليم:

أعوزتني الرواةُ يا ابنَ سليمٍ ... وأبى أن يقيمَ شعري لساني

وغلابُ الذي أحجمَ صدري ... وجفاني لعُجْمتي سلطاني

وازدرتني العيونُ إذ كان لوني ... حالكاً يحتوي من الألوان[٤]

---

(١) الكوفة: مدينة في العراق.

(٢) انظر كتاب الحماسة لأبي تمام بن أوس الطائي – ج ١ – ص ٦٦.

(٣) الخطي: نسبة إلى الرماح الخطية، وأصلها من الهند تنتقل إلى الخط وهو على ساحل البحرين – المثقفة السمر: أي الرماح المستقيمة.

(٤) ازدرتني: احتقرتني. حالكاً: شديد السواد.

فضـربتُ الأمـورَ ظَهـراً لبطنٍ ... كيـف أحتـالُ حيلـة لِلسـاني[١]

وتمنيـتُ أننـي كنـتُ بالشـعر ... فصـيحاً وبـانَ بعض بناني[٢]

ثـم أصـبحتُ قد أنخـتُ ركابي ... عنـد رَحْـبِ الفنـاءِ والأعْطـانِ

فاكفنـي ما يضـيقُ عنـه رُواتي ... بفصـيح مـن صـالِحي الغلمان

يفهم الناسُ ما أقولُ من الشعر ... فـإن البـيـان قـد أعـيـاني

وقد توفي أبو العطاء السندي أيام المنصور.

وممـن نسـلوا من أصـل سـندي – كذلك –، ابـن الأعرابـي الراوية اللغوي، محمد بن زياد السـندي الكوفي، وهـو من موالي بني هاشـم، وله مصـنفات كثيرة منها: النـوادر، والأنوار، وتاريخ القبائل، ومعاني الشـعر وتفسير الأمثال، وقد توفي سنة ٢٣١ هـ.

ب – تأثر أهل الهند والسند بالحضارة الإسلامية:

والدارس لتاريخ العلم والعلماء في الهند، يعرف جيداً مقدار تأثر أهلها بحضـارة الإسـلام. يقول العلامة الهندي عبد الحي الحسـني (١٢٨٦ – ١٣٤١هـ) في كتابه القيم (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف)[٣]:

«اعلـم أن الإسـلام ورد الهنـد مـن جهـة خراسـان ومـا وراء النهر،

---

(١) بان بعض بناني: يتمنى الشاعر أن يكون فصيح اللسان، مقابل أن تقطع بعض أصابعه.

(٢) أنخت ركابي: كناية عن لجوئه وإيوائه، رحب الفناء والأعطان: كناية عن الكريم.

(٣) طبع هذا الكتاب بدمشق في سورية عام ١٢٧٧هـ (١٩٥٨م) بعنوان: الثقافة الإسلامية في الهند. المجمع العلمي العربي. وسترد ترجمة المؤلف لاحقاً.

فانعكست أشعة العلم على الهند من قبل تلك البلاد، وكانت صناعة أهلها من قديم الزمان فنون الفلسفة وحكمة اليونان، وكان قصارى نظرهم في علم النحو والفقه والأصول والكلام عن طريق التقليد، فلما بلغ الإسلام إلى الهند وصارت بلدة «ملتان»[١] مدينة العلم، نهضت من تلك البلدة جمع كثير من العلماء، ثم لما صارت " لاهور " قاعدة الملك في أيام الغزنوية[٢] صارت مركزاً للعلوم والفنون، ثم لما افتتح الملوك الغورية[٣] مدينة "دهلي" وجعلوها عاصمة البلاد المفتوحة من الهند، صارت مرجعاً ومآبا للعلماء حتى وفد إليها أرباب الفضل والكمال من كل ناحية وبلدة، فدرسوا وأفادوا عهداً بعد عهد، ولم تزل كذلك إلى آخر عهد الملوك التيمورية»[٤].

وقد صارت اللغة العربية، منذ الفتح الإسلامي للهند، لغة العلم والأدب، فما خلت الهند في العصور الإسلامية من علماء يؤلفون بالعربية، وأكثر مؤلفاتهم في العلوم الإسلامية مثل التفسير والحديث والفقه والكلام.

وفي علوم العربية: مثل اللغة والنحو والصرف والبلاغة.. نذكر من هؤلاء العلماء على سبيل المثال:

- فيضي، المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ، وهو صاحب التفسير المسمى: سواطع الإلهام.

- ومن كبار المفسرين والمتكلمين عبد الحكيم السيالكوتي المتوفى سنة ١٠٦٧هـ، وهو من علماء عصر شاه جهان (١٠٣٧ – ١٠٦٨ هـ).

---

(١) مدينة معروفة في باكستان.

(٢) الغزنوية – قامت بعد الدولة السامانية.. ومن ملوكها محمود الغزنوي، وهم أتراك.

(٣) الغورية قامت بعد الدولة الغزنوية ٥٥٥ هـ (١١٦٢م).

(٤) في القرن العاشر الهجري وحتى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٣٧م).

- ومن الفقهاء محب الله البهاري، وله تأليف في الفقه، وآخر في المنطق.

- والشيخ نظام، الذي أشرف على جمع الفتاوى الهندية في عهد أورنك زيب[١].

- ومن المؤلفين بالعربية في العصر الحاضر "صديق حسن خان"، مؤلف حقوق النسوة، وغيره، من الكتب القيمة. والشيخ «شبلي النعماني»[٢] الذي نقد تاريخ الأدب العربي «لجرجي زيدان»[٣] و" كرامت حسين " مؤلف فقه اللسان واللغة، وعبد العزيز الميمني؛ له رسائل مهمة في تاريخ الأدب، وقد نشر في مصر " سمط اللآلي شرح كتاب الأمالي "، وكتباً أخرى قيمة، وزاهد علي شارح ديوان ابن هاني[٤].

- ومن المؤلفين بالعربية المعاصرين: الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي – رحمه الله – رئيس ندوة العلماء بلكنو بالهند، والذي له مؤلفات قيمة في العلوم الإسلامية والحضارة والأدب منها: «السيرة النبوية، و"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و "روائع إقبال" وغيرها من الكتب القيمة... وقد أسس رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٤٠٦هـ، ولها أعضاء من جميع البلاد العربية والإسلامية.

---

(١) عام (١٠٦٩ – ١١١٨ هـ).

(٢) شبلي النعماني: باحث ومؤلف هندي مشهور بالدقة والتحري.

(٣) جرجي زيدان: ١٢٧٨ – ١٣٣٢ هـ (١٨٦١ – ١٩١٤م) كاتب نصراني من أصل لبناني، عاش في مصر، وكتب تاريخ الإسلام بأسلوب قصصي مغرض.

(٤) عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٢٨٦ – ١٣٤١هـ - ١٨٦٩ – ١٩٢٣هـ): مؤلف كتاب: نزهة الخواطر في تراجم أعيان الهند – غير المنقسمة -، في ثمانية مجلدات كبار، ظهرت سبعة منها من دائرة المعارف بحيدر آباد في الهند. ونشر المجمع العلمي العربي بدمشق كتاباً له باسم: « الثقافة الإسلامية في الهند» وهو كتابه: معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف، وهو والد الشيخ أبي الحسن الندوي – رحمه الله – (انظر روائع إقبال، هامش ص ٧).

- ولقد جمع عبد الحي الحسني - رحمه الله - أسماء العلوم والعلماء في الهند منذ الفجر الإسلامي في الهند - وذكر مصنفاتهم في العلوم الإسلامية كافة مبيناً أثر الهند الإسلامية في حفظ هذه العلوم وإثرائها بالمؤلفات والشروح المطولة والفتاوى، واللغة والأدب والشعر والمنطق وغيرها من العلوم[1].

وهكذا؛ فإن التواصل الثقافي بين البلاد العربية والهند والباكستان مستمر على مر الزمان، حتى جاء العلامة والمفكر الإسلامي العظيم محمد إقبال فزاد هذا التواصل حرارة وإيماناً وتوثيقاً.. بشعره الفياض المعطار، وفكره النير، وجهاده الدائم في سبيل نصرة الإسلام في كل مكان، فهل يستطيع قلمي القاصر أن يفيه حقّه بالتعريف للقارئ العربي، ويبرز شخصيته الأخّاذة، الفاعلة والمؤثرة، أم يكتفي بإعطاء إشارات وعلامات فقط على طريق هذه الشخصية العظيمة؟

(١) التوجيه الأدبي - ٢٢١.